

سورة الفاتحة في إيطار علم المعاني

Muh Hotibul Umam

Ma'had Aly Almajidiyah Pamekasan

umamfirdausi99@gmail.com

ABSTRAK

Penelitian ini menggunakan metode *library research*, dengan menganalisa ayat-ayat, kosa kata dan susunannya, disertai dengan penjelasan keistimewaan dari pada ayat tersebut dari sudut pandang ilmu ma'ani. Penulis dalam hal ini berpedoman kepada referensi buku-buku ilmu balaghah dan semisalnya.

Adapun hasil dari penelitian ini, surat ini (*al-fatihah*) secara umum mengandung maksud dan tujuan *al-Qur'an* yang terdiri dari; pujian kepada Allah dalam firman-Nya (*al-hamdulillah*) hingga (*yaumi ad-diin*), perintah dan larangan dalam firman-Nya (*iybaka na'budu*) hingga (*al-Mustaqim*), janji dan peringatan dalam firman-Nya (*shirath al-ladzina*) hingga akhir ayat. Disisi lain (*al Maghdubi 'Alaihim*) dan (*al-Dhoollin*) juga menunjukan kepada salah satu jenis kisah-kisah *al-Qur'an*. Maka daripada itu, Surat *al-Fatihah* ini dinamakan *Ummul Qur'an* (induknya *al-Qur'an*). Dalam surat *al-Fatihah* ini juga penuh dengan keindahan retorika bahasanya (*tahsiniyyah al balaghiyyah*), khususnya jika dilihat dari sisi ilmu semantiknya (*Ilmu ma'ani*). Seperti sebuah kalimat yang secara lafalnya kalimat deklaratif (*khobariyyah*), namun secara maknanya kalimat konstruktif (*insyaiyyah*). didalamnya juga terdapat *hadzf*, *taqdim* dan *ta'khir*, *takhsis*, *ijaz*, *qosr*, *wasl*, *iltifat* dan *ithnab*.

Keywords: *Al-Fatihah, Retorika, Semantik*

ملخص

تقوم منهجية البحث على طريقة الدراسة المكتبية، بأن يقوم في دراسة الآيات على تحليل مفرداتها وتراكيبها شارحاً خصائصها باعتبار علم المعاني، واعتمد في ذلك على الكتب التي تهتم بالوجوه البلاغية.

وأما نتيجة هذا البحث فهي إن هذه السورة قد اشتملت بوجه إجمالي على مقاصد القرآن من حمد وثناء في قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } إلى قوله : { يَوْمَ الدِّينِ } ، وأوامر ونواهي في قوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلى قوله : { الْمُسْتَقِيمَ } ، ووعد ووعيد في قوله : { صِرَاطَ الَّذِينَ } إلى آخرها مع أن ذكر المغضوب عليهم، والضالين يشير أيضاً إلى نوع قصص القرآن، فسُميت أمّ القرآن. وفيها ملئمة من تحسينات البلاغية، وخاصة من جهة التحسينات التي تكون في علم المعاني ككون الجملة خبرية لفظاً وإنشائية معنىً، وفيها الحذف، والتقديم والتأخير، والتخصيص، وإيجاز، والقصر، والوصل، والتخصيص، والالتفات، وإطناب.

الكلمة المفتاحية: سورة الفاتحة، البلاغة، علم المعاني

1. التمهيد

إن أعظم سور القرآن هي الفاتحة؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد بن المعلّى رضي الله عنه قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلتُ : يا رسول الله، إني كنت أصلي في المسجد، فقال : ألم يقل الله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ } ، ثم قال : لأعلمَنَّكَ سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلتُ له : ألم تقل : {لَأُعَلِّمَنَّكَ سُوْرَةٌ هِيَ أَعْظَمُ سُوْرَةٍ فِي الْقُرْآنِ} ، قال : {الحمد لله رب العالمين} هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

وهذه العظمة تعرف إذا كان الإنسان محيطاً باللغة العربية التي يترتب على فهمها فهم النصوص؛ لأن فهمها مبني على فهم اللغة، فلا يمكن أن يستغني طالب العلم الشرعي عن هذه اللغة . قال تعالى في كتابه العزيز : {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

والمراد بقول اللغة العربية هو ما نطق به العرب . وعلوم اللغة العربية كثيرة، منها البلاغة التي تبين إعجاز القرآن ، فكيف يتذوق بلاغة القرآن وفصاحته وإعجازه من لا يعرف علوم البلاغة ؟ وهي عبارة عن علم المعاني والبيان والبديع ، لكن البديع خلاصة علمي المعاني والبيان وتابع لهما؛ إذ بهما يعرف التحسين الذاتي ، وبه يعرف التحسين العرضي ، وقدم علم المعاني على علم البيان لكونه كالمفرد بالنسبة لعلم البيان، إذ علم البيان لا بدّ أن يراعى فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهذا ما يسمى بعلم المعاني .

2. شكلية البحث

إن منهج الباحث في دراسة الآيات يقوم على تحليل مفرداتها وتراكيبها شارحاً خصائصها باعتبار علم المعاني، واعتمد في ذلك على الكتب التي تهتم بالوجوه البلاغية وكتب البلاغة، من أمثال قواعد اللغة العربية لحضرات حنفي بك ناصف ومحمد بك دياب والشيخ مصطفى طوموم ومحمود أفندي عمر وسلطان بك محمد، و التلخيص في علوم البلاغة للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، و التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، و تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي.

3. البحث

أ. حول سورة الفاتحة

إن سورة الفاتحة سورة مكية عند الأكثرين ، وقيل : مدنية، والأصح عند الإمام النسفي أنها مكية ومدنية نزلت في مكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت في المدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة ، وهذه السورة على صغر حجمها ، وقلة آياتها، قد اشتملت بوجه إجمالي على مقاصد القرآن من حمد وثناء، وأوامر ونواهي، ووعد ووعيد، فإن قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } إلى قوله : { يَوْمَ الدِّينِ } حمد وثناء، وقوله : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } إلى قوله : { الْمُسْتَقِيمِ } من نوع الأوامر والنواهي، وقوله : { صِرَاطَ الَّذِينَ } إلى آخرها من نوع الوعد والوعيد مع أن ذكر المغضوب عليهم، والضالين يشير أيضاً إلى نوع قصص القرآن . ثم ردّ هذه كلها إلى البسملة ثم إلى النقطة التي تحت الباء.

ب. معاني مفردات آيات سورة الفاتحة إجمالاً

قد اختلف في هذه السورة كون البسملة من الفاتحة أو لا، فعند مذهب أبي حنيفة رحمه الله (ت: 150هـ) أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها. وعند الإمام الشافعي (ت: 204هـ) رحمه الله أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة.

● ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

و { بِسْمِ اللَّهِ } الباء فيه تعلقت بمحذوف، تقديره : "بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ أو أتلو"؛ لأن الذي يأتي بعد التسمية مقروء، وكل فاعل يبدأ في فعله ب"باسم الله" كان مضمرًا ما جعل التسمية مبدأ له. و"اسم الله" في البسملة يتعلق بالقراءة على معنى "متبركاً باسم الله أقرأ"، وكُسرت الباء فيها؛ لأنها تلازم الحرفية والجارّة.

والاسم من الأسماء التي بُنيت أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين في الكلام زادوا همزة؛ تخلصاً عن الابتداء بالساكن، وإذا وقعت في الوسط لم يفتقر إلى زيادة شيء، ومنهم من لم يزدوها واستغنى

¹ . انظر محمود بن عمرو الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (بيروت - دار إحياء التراث العربي، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 42. وأبا البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 3.

عنها بتحريك الساكن، فقال : "سَمٌ وَسُمٌ"، وهو من الأسماء المحذوفة حروفها الأخيرة، وأصله "سمو"؛

بدليل تصريحه كـ "أسماء وُسْمِي وَسَمِيَّت"، واشتقاقه من سمو وهو الرفع².

وحذفت الألف في الخط من البسملة؛ لاجتماعها في البسملة بكماها، وطُوِّلت الباء فيها؛ عوضاً

من الألف المحذوفة في "اسم"³.

و"الله" أصله "إله" حذفت منه الهمزة وعوض منها حرف التعريف، و"الإله" من أسماء الأجناس يقع

على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بالحق، وأما "الله" فمختص بالمعبود بالحق فقط، وهو

اسم وليس بصفة؛ لأنك تصفه ولا تصف به، ولأن صفاته تعالى تقوم على "الله" فلو جعلتها كلها صفات

لبقيت صفات غير قائمة على اسم موصوف بها وهذا لا يجوز⁴.

و { الرحمن الرحيم } "الرحمن" فعلان من "رحم"، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، وكذا

"الرحيم" فعيل من "رحم"، وفي "الرحمن" من المبالغة ما ليس في "الرحيم"؛ لأن في "الرحيم" زيادة واحدة،

وفي "الرحمن" زيادتين، وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى، و"الرحمن" خاصٌ تسميةً؛ لأنه لا يُوصَف به

غير الله، وعام معنى؛ لأنه يعم المؤمن والكافر، و"الرحيم" عام تسميةً؛ لأنه يُوصَف به غير الله، وخاص

معنى، لأنه خاص للمؤمنين، ورحمة الله إنعامه على عباده، وأصلها العطف⁵.

² . المرجع السابق، تفسير النسفي، ج : 1، ص : 4.

³ . محمود بن عمرو الزخشري، الكشاف (بيروت - دار إحياء التراث العربي، بدون سنة)، ج : 1، ص : 48.

⁴ . أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 4.

⁵ . انظر نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (بيروت - دار الكتب العلمية، 1996م)، ط 1. ج : 1، ص : 77، وأبا

البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 6.

● ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

و { الْحَمْدُ لِلَّهِ } "الحمد" الوصف بالجميل وهو رفع بالابتداء، وأصله النصب (أي : أحمدُ الحمدَ لله)، والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره، وخبره "لله"، واللام متعلق بمحذوف، أي : واجب أو ثابت⁶، والألف واللام فيه للاستغراق.

و { رَبِّ الْعَالَمِينَ } "الرب" المالك، ومنه قول صفوان لأبي سفيان : "لأن يُرَبِّي رجل من قريش أحب إليّ من أن يرَبِّي رجل من هوازن"، تقول : "رَبَّه - يرَبُّه - ربًّا - فهو رب" ويجوز أن يكون وصفاً لـ "الله" بالمصدر للمبالغة، ولم يطلقوا "الرب" بالألف واللام إلا في الله وحده، وهو في العبد مع التقييد بالإضافة.

و "العالم" هو ما عُلِمَ به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض، أو هو كل موجود سوى الله تعالى، وسمي به؛ لأنه علّم على وجوده تعالى، وإنما جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام؛ لما فيه [أي : العالم] من معنى الوصفية، وهي الدلالة على معنى العلم؛ لأن الإنسان يعلم وجود الله بالعالم.

● ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

وقد مر معناهما في بيان الآية الأولى، وأما من حيث الإعراب فهما صفتان (نعتان) أخريان للموصوف (لفظ الجلالة) مجروران مثله؛ للتعظيم، وجاءت الصفتان للمدح⁷.

⁶ . عطف على قوله : "وهو بالقلب والجوارح".

⁷ . بمجت عبد الواحد الشبخلي، إعراب القرآن الكريم (بيروت- دار الفكر، 2006م)، ط 4. ج : 1، ص : 11.

● ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾

و {مَلِكٌ} بمد الميم على قراءة عاصم وعلي، أو بلا مدّ على غيرهما، وهو المختار؛ لاستغنائه عن الإضافة، ولقوله تعالى : {لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}⁸، ولأن كل مَلِك مالِك وليس كل مالِك مَلِكاً، ولأن أمر المَلِك ينفذ على المالك دون عكسه، وقيل : المختار هو "المالك"؛ لأنه أكثر ثواباً؛ لأنه أكثر حروفاً، وإضافة اسم الفاعل إلى الظرف على وجه الاتساع، وتخصيص الملك بيوم الدين؛ لأن الأمر فيه لله وحده. ووقوع إضافة اسم الفاعل غير الحقيقية (مَالِك يوم الدين) صفة للمعرفة (الله)؛ لأنه أريد الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية فيجوز أن يكون صفة للمعرفة.

وهذه الأوصاف التي أقيمت على الله سبحانه وتعالى من كونه مالِكاً للعالمين ومنعماً بالنعيم كلها، ومالِكاً للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به تعالى في قوله تعالى : {الحمد لله}⁹، دليل¹⁰ على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه¹¹.

● ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

و"إِيَّا" عند الخليل (ت: 170هـ)¹² اسم مضمر، والكاف ضمير أضيف "إِيَّا" إليه؛ لأنه يشبه اسم المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل¹³، والمعنى : "إِيَّاكَ - يا من، هذه صفاته - نعبد ونستعين لا

⁸ . الغافر : 16.

⁹ . الفاتحة : 2.

¹⁰ . خبر من قول : "وهذه الأوصاف..".

¹¹ . أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 6.

¹² . وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض أخذه من الموسيقي، وكان عارفاً بها وهو أستاذ

سبويه النحوي. ومن مؤلفاته: "كتاب العين" في اللغة، و"جملة آلات العرب"، و"النعم". انظر الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين (الناشر مصطفى الباب الحلبي، 1966م)، ج: 1، ص: 31.

¹³ . الخليل الفراهيدي، كتاب العين (دار ومكتبة الهلال، بدون سنة الطبعة)، ج : 8، ص : 440.

غيرك"، وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان فيه، ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوقيقه على أداء العبادات، ويكون قوله : {اهدنا} بياناً للمطلوب من المعونة، كأنه قيل : "كيف أعينكم؟"، فقالوا¹⁴:

● ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

والمعنى : نُبِّئْنَا عَلَى الْمُنْهَاجِ الْوَاضِحِ؛ كَقَوْلِكَ لِلْقَائِمِ : "قم حتى أعود إليك"، أي : أثبت على ما أنت عليه، أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال، و"هدى" هنا يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد، و"الصرط" الجادة من "سرط الشيء إذا ابتلعه"، كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه، و"الصرط" من قلب السين صاداً؛ لتجانس الطاء في الإطباق؛ لأن الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الإطباق وقد تشبَّه الصاد صوت الزاي؛ لأن الزاي إلى الطاء أقرب؛ لأنهما مجهورتان، وهي قراءة حمزة، والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام¹⁵.

● ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۚ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۚ﴾

و {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} بدل من الصراط، وهو في حكم تكرير العامل، وفائدته التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وأكده، وهم المؤمنون والأنبياء عليهم السلام أو قوم موسى قبل أن يغيروا¹⁶.

و {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} بدل من {الذين أنعمت عليهم}، يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة ل {الذين}، يعني أنهم جمَعوا بين النعمة المطلقة، - وهي نعمة الإيمان - وبين السلامة من غضب الله والضلال، وإنما ساغ وقوعه صفة ل {الذين}، وهو

¹⁴ . أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 7.

¹⁵ . محمود بن عمرو الزمخشري، الكشاف، (بيروت- دار إحياء التراث العربي، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 57.

¹⁶ . جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (المدينة المنورة- مكتبة العلوم والحكم، 2003م)، ط 5، ج : 1، ص : 16.

معرفة، و"غير" لا يتعرف بالإضافة؛ لأن "غير" إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة، نحو : "عجبت من الحركة غير السكون"، والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان، ولأن {الذين} قريب من النكرة؛ لأنه لم يُردَّ به قوم بأعيانهم، و {غير المغضوب عليهم} قريب من المعرفة؛ للتخصيص الحاصل له بإضافته، فكل واحد من {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} و {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} فيه إهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا، و {عليهم} الأولى¹⁷ محلها نصب على المفعولية، و {عليهم} الثانية¹⁸ محلها الرفع على الفاعلية، وغضبُ الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده، وقيل : المغضوب عليهم هم اليهود؛ لقوله تعالى : {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ}¹⁹، والضالون هم النصارى؛ لقوله تعالى : {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ}²⁰، و"لا" زائدة عند البصريين؛ للتوكيد، وعند الكوفيين هي بمعنى "غير"²¹.

و"[آمين]" صوت سمي به الفعل الذي هو استجب، وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى "آمين" فقال [صلى الله عليه وسلم] : "افعل"، وهو [أي : آمين] مبني، وفيه لغتان : مد ألفه (آمين) وقصرها وهو الأصل، والمد بإشباع الهمزة قال : "يا رب لا تسلبني حبها أبدا * ويرحم الله عبداً قال : آمينا"²²، وهو ليس من الفاتحة²³.

17 . في قوله تعالى : "{الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}" [الفاتحة : 7].

18 . في قوله تعالى : "{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}" [الفاتحة : 7].

19 . المائدة : 60.

20 . المائدة : 77.

21 . أبو البركات عبد الله النسفي، تفسير النسفي (دار الفكر، بدون سنة الطبعة)، ج : 1، ص : 8 - 9.

22 . المرجع السابق، تفسير النسفي، ج : 1، ص : 9.

23 . جابر بن موسى الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (المدينة المنورة- مكتبة العلوم والحكم، 2003م)، ط 5، ج : 1، ص : 16.

بيان وتحليل آيات الفاتحة بإطار علم المعاني تفصيلاً

سيتم هذا البيان من عدة جهة من أقسام علم المعاني، وهي : الخبر والإنشاء، و الذكر والحذف، و التقديم والتأخير، و القصر، و الوصل والفصل، والآخير؛ المساواة والإيجاز والإطناب.

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث الخبر والإنشاء

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إن جملة البسملة يصح أن تكون خبرية باعتبار متعلقها المحذوف كـ "أبتدئ" أو "أؤلف" أو "أقرأ" وغير ذلك؛ لأن حصول ذلك لا يتوقف على التلفظ بالكلام، ويصح أن تكون إنشائية باعتبار معنى الباء الاستعانة أو المصاحبة؛ لأن ذلك لم يحصل إلا بالتلفظ بها.

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

وجملة {الحمد لله} خبرية لفظاً، إنشائية معنى؛ لحصول الحمد بالتكلم بها مع الإذعان مدلولها، ويجوز أن تكون موضوعة شرعاً للإنشاء، أو خبرية لفظاً ومعنى؛ إذ ليس معنى كونها إنشائية لا أنها جملة إنشاء الحامد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى. ولام "الله" للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص، والأولى أنها للاختصاص بالمعنى الأعم الصادق بالملك وبالاستحقاق، لا بالمعنى الأخص المقابل لهما، وعلى كلٍ فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

إن لفظ هذه الآية خبر يتضمن معنى الإنشاء وهو دعاء الثناء.

- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
- وسرّ التعبير بـ"اهدنا" دون غيره أن الهداية دلالة بتلطف ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول لأن التلطف يناسب من أريد به الخير والهداية الدلالة بتلطف ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول لأن التلطف يناسب من أريد به الخير.

وفي قوله : "اهدنا" إنشائية لفظاً ومعنى؛ لأن لفظه فعل الأمر بمعنى الدعاء من "هدى - يهدي".

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث الحذف والذكر

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
- والباء في {بِسْمِ اللَّهِ} تعلقت بمحذوف، تقديره : "بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ أو أتلو" ؛ لأن الذي يأتي بعد التسمية مقروء .

- ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
- إنه تعالى ذكر "الرحمن الرحيم" في التسمية مرة واحدة، وفي السورة مرة ثانية فالتكرير فيهما حاصل فما الحكمة؟ قلنا : التقدير كأنه قيل : اذكر أي إله ورب مرة واحدة، واذكر أي رحمن رحيم مرتين لتعلم أن العناية بالرحمة أكثر منها بسائر الأمور، ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال : لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين، ونظيره قوله تعالى: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول}.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
- وإعادة "إياك" مع الفعل الثاني في قوله : {إياك نعبد وإياك نستعين} تفيد أن كلاً من العبادة والاستعانة مقصود بالذات فلا يستلزم كل منهما الآخر.

- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۚ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

إن الله تعالى ذكر : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } على البذل من { الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } ولم يقل : "اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم"؛ للإشعار بأنَّ الطريق المستقيم بيانه وتفسيره : صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وأكده.

وحذف "صراط" من قوله : { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ }، أي : غير صراط المغضوب عليهم وغير صراط الضالين ؛ لدلالة قوله : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }.

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث التقديم والتأخير

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إن متعلق الباء المحذوف في البسملة قدر متأخراً؛ لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به (الله).
وقدّم "الرحمن" على "الرحيم" في البسملة؛ لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، وإن كان أبلغ، والقياس الترتيبي من الأدنى إلى الأعلى.

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

و { الحمد } لما جاز لغير الله في ظاهر الأمر كما جاز لله، حسن تقدم "الحمد" على "الله".

- ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وقدّم "الرحمن" على "الرحيم" كما في البسملة؛ لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، وإن كان أبلغ، والقياس الترتيبي من الأدنى إلى الأعلى .

وقدّم "الرحمن الرحيم" على "ملك يوم الدين"؛ لأنّ رحمة الله سبقت غضبه.

- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

إن في تعقيب قوله : "رب العالمين الرحمن الرحيم" بقوله : "ملك يوم الدين" إشارةً إلى أنه ولي التصرف في الدنيا والآخرة فهو إذن تتميم .

وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال : {يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً} وقال تعالى : {وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً} ، وقال : {يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد} . ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وقدم المفعول وهو {إياك}، وكرر؛ للاهتمام والحرص، أي : لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة.

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسبة، لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال : {إياك نعبد وإياك نستعين}.

وإنما قدم : {إياك نعبد} على {وإياك نستعين}؛ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها ، ولأن العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تتركب على كونه معبوداً للمستعين به، ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت مقدمة على الاستعانة في التعقل. وقد حصل من ذلك التقديم أيضاً إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان ، ولأن تقديم العبادة على الاستعانة في الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها، والاستعانة وسيلة إليها ، ولأن الاستعانة ثمرتها .

فإن قيل : فما معنى النون في قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا تناسب هذا المقام؟ وقد أجيب : بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير، ويجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له : إذا كنت في العبادة فأنت شريف وجاهك عريض فقل : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وإذا كنت خارج العبادة فلا تقل : نحن ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف؛ لافتقار الجميع إلى الله عز وجل .

• ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

إن تقديم قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على هذه الآية يهيئ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلالة ثم أتبعوا ذلك بقولهم : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الذي هو واسطة جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية وهي حظ العبد بأنه عابد ومستعين وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب، حتى إذا ظنوا برهم الإقبال عليهم ورجوا من فضله، أفضوا إلى سؤال حظهم فقالوا : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} فهو حظ الطالبين خاصة لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم .

• ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۚ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۚ﴾

إن من أنعم الله عليه امتنع أن يكون مغضوباً عليه وأن يكون من الضالين، فلما ذكر قوله {أنعمت عليهم} فما الفائدة في أن ذكر عقيبها {غير المغضوب عليهم ولا الضالين}؟ والجواب : الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، كما قال عليه السلام : "لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"، فقوله : {صراط الذين أنعمت عليهم} يوجب الرجاء الكامل، وقوله : {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} يوجب الخوف الكامل، وحينئذ يقوى الإيمان بركنيه وطرفيه، وينتهي إلى حد الكمال.

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث التخصيص

• ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وتقديم قوله : {بسم الله الرحمن الرحيم} على المعلق المقدر يفيد الحصر، وما ذلك إلا لأن كفار مكة كانوا يبدؤون في فعلهم بأسماء آلهتهم فيقولون : باسم الآلات، وباسم العزى؛ فوجب أن يقصد الموحّد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء، وهذا بتقديمه وتأخير الفعل، وإنما قدم الفعل في {اقرأ باسم ربك} ؛ لأنها أول سورة نزلت كما قال بعضهم، ولأن الأمر بالقراءة كان أهم؛ فكان تقديم الفعل أوقع، ولجواز أن يحمل "اقرأ" على معنى "افعل القراءة وحققها" غير متعلّ إلى مقروء به، ولكون "باسم ربك" مفعول "اقرأ" المقدر الذي بعده

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية سواء أ جعلت لام التعريف فيه للإستغراق كما هو ظاهر، أم للجنس؛ لأنّ لام "الله" للاختصاص .

• ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

إن تقديم "إياك" على "نعبد" وكذا على "نستعين" يفيد الحصر، وهذا الحصر بوجه:

الوجه الأول : أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم، وهي لا تليق إلا بمن صدر عنه غاية الإنعام، وأعظم وجوه الإنعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به، فالمرتبة الأولى - وهي الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع - وإليها الإشارة بقوله تعالى : {وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا} ، وقوله : {كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم} ، والمرتبة الثانية - وهي خلق المنتفع به - وإليها الإشارة بقوله تعالى : {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا} ، ولما كانت المصالح الحاصلة في هذا العالم السفلي إنما تنتظم

بالحركات الفلكية على سبيل إجراء العادة لا جرم أتبعه بقوله : {ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم} فثبت به أن كل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى، فوجب أن لا تحسن العبادة إلا لله تعالى، فلهذا المعنى قال : {إياك نعبد}، فإن قوله : {إياك نعبد} يفيد الحصر .

والوجه الثاني : في دليل هذا الحصر، وهو أنه قد دل الدليل القاطع على وجوب كونه تعالى قادرا عالما محسنا جوادا كريما حلوما، وأما كون غيره كذلك فمشكوك فيه؛ لأنه لا أثر يضاف إلى الطبع والفلك والكواكب والعقل والنفس إلا ويحتمل إضافته إلى قدرة الله تعالى، ومع هذا الاحتمال صار ذلك الانتساب مشكوكا فيه، فثبت أن العلم بكون الإله تعالى معبودا للخلق أمر يقيني، وأما كون غيره معبودا للخلق فهو أمر مشكوك فيه، والأخذ باليقين أولى من الأخذ بالشك، فوجب طرح المشكوك والأخذ بالمعلوم وعلى هذا لا معبود إلا الله تعالى فلهذا المعنى قال : {إياك نعبد وإياك نستعين} .

والوجه الثالث : أن العبودية ذلة ومهانة إلا أنه كلما كان المولى أشرف وأعلى كانت العبودية به أهنا وأمرأ، ولما كان الله تعالى أشرف الموجودات وأعلاها فكانت عبوديته أولى من عبودية غيره، وأيضا قدرة الله تعالى أعلى من قدرة غيره، وعلمه أكمل من علم غيره، وجوده أفضل من جود غيره، فوجب القطع بأن عبوديته أولى من عبودية غيره، فلهذا السبب قال : {إياك نعبد وإياك نستعين} .

والوجه الرابع : أن كل ما سوى الواجب لذاته يكون ممكنا لذاته، وكل ما كان ممكنا لذاته كان محتاجا فقيرا، والمحتاج مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه القيام بدفع الحاجة عن الغير، والشيء ما لم يكن غنيا في ذاته لم يقدر على دفع الحاجة عن غيره، والغني لذاته هو الله تعالى فدافع الحاجات هو الله تعالى، فمستحق العبادات هو الله تعالى، فلهذا السبب قال : {إياك نعبد وإياك نستعين} .

والوجه الخامس : أن المشركين طوائف، وذلك لأن كل من اتخذ شريكا لله فذلك الشريك إما أن يكون جسما وإما أن لا يكون، أما الذين اتخذوا شريكا جسمانيا فذلك الشريك إما أن يكون من الأجسام

السفلية أو من الأجسام العلوية، أما الذين اتخذوا الشركاء من الأجسام السفلية فذلك الجسم إما أن يكون مركبا أو بسيطا، أما المركب فإما أن يكون من المعادن أو من النبات أو من الحيوان أو من الإنسان، أما الذين اتخذوا الشركاء من الأجسام المعدنية فهم الذين يتخذون الأصنام إما من الأحجار أو من الذهب أو من الفضة ويعبدونها، وأما الذين اتخذوا الشركاء من الأجسام النباتية فهم الذين اتخذوا شجرة معينة معبودا لأنفسهم، وأما الذين اتخذوا الشركاء من الحيوان فهم الذين اتخذوا العجل معبودا لأنفسهم، وأما الذين اتخذوا الشركاء من الناس فهم الذين قالوا : "عزير ابن الله والمسيح ابن الله"، وأما الذين اتخذوا الشركاء من الأجسام البسيطة فهم الذين يعبدون النار وهم المجوس، وأما الذين اتخذوا الشركاء من الأجسام العلوية فهم الذين يعبدون الشمس والقمر وسائر الكواكب ويضيفون السعادة والنحوسة إليها وهم الصابئة وأكثر المنجمين، وإذا عرفت هذه التفاصيل فنقول : كل ما اتخذ الله شريكا فإنه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه، إما طلبا لنفعه أو هربا من ضرره، وأما الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والأضداد ولم يعبدوا إلا الله ولم يلتفتوا إلى غير الله فكان رجالهم من الله وخوفهم من الله ورغبتهم في الله ورهبتهم من الله فلا جرم لم يعبدوا إلا الله ولم يستعينوا إلا بالله، فلهذا قالوا : {إياك نعبد وإياك نستعين}، فكان قوله : "إياك نعبد وإياك نستعين" قائما مقام قوله : لا إله إلا الله .

والوجه السادس : أنك إذا قلت : "نعبذك" فبدأت أولا بذكر عبادة نفسك ولم تذكر أن تلك العبادة لمن، فيحتمل أن إبليس يقول : "هذه العبادة للأصنام أو للأجسام أو للشمس أو للقمر"، أما إذا غيرت هذا الترتيب وقلت أولا : "إياك" ثم قلت ثانيا : "نعبد" كان قولك أولا : "إياك" صريحا بأن المقصود والمعبود هو الله تعالى، فكان هذا أبلغ في التوحيد وأبعد عن احتمال الشرك .

والوجه السابع : لو قيل : "نعبذك" لم يفد نفي عبادتهم لغيره؛ لأنه لا امتناع في أن يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين، أما لما قال : "إياك نعبد" أفاد أنهم يعبدونهم ولا يعبدون غير الله .

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث الوصل

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وجملة {إياك نستعين} معطوفة على جملة {إياك نعبد}، وإنما لم تفصل عن جملة {إياك نعبد} بطريقة تعداد الجمل مقام التضرع ونحوه من مقامات التعداد والتكرير كلا أو بعضاً؛ للإشارة إلى خطور الفعلين جميعاً في إرادة المتكلمين بهذا التخصيص.

وقرنت الاستعانة بالعبادة للجمع بين ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وبين ما يطلبه من جهته.

- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

وفصلت هذه الآية مع الجمل المتقدمة؛ لأنها إنشائية دعائية أمرية، والمعنى : ثَبِّتْنَا عَلَى الْمَنْهَاجِ الْوَاضِحِ؛ كقولك للقائم : "قم حتى أعود إليك"، أي : أثبت على ما أنت عليه، أو اهْدِنَا فِي الْأَسْتِقْبَالِ كَمَا هَدَيْتَنَا فِي الْحَالِ ، وما قبلها خبر يتضمن دعاء الشناء.

بيان وتحليل آيات الفاتحة من حيث إيجاز الحذف والقصر

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

إن حذف متعلق الباء في البسملة يعتبر إيجاز الحذف ، وأما إيجاز القصر فهو في قوله تعالى : {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}؛ لأن "الرحمة" عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات، أما التخليص عن أقسام الآفات فلا يمكن معرفته إلا بعد معرفة أقسام الآفات، وهي كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى .

● ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

{الحمد لله} الحمد إنما يكون حمداً على النعمة، والحمد على النعمة لا يمكن إلا بعد معرفة تلك النعمة، لكن أقسام نعم الله خارجة عن التحديد والإحصاء، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}. و {رَبِّ الْعَالَمِينَ} "رب" مضاف و"العالمين" مضاف إليه، وإضافة الشيء إلى الشيء تمتنع معرفتها إلا بعد حصول العلم بالمتضايين، فمن المحال حصول العلم بكونه تعالى رباً للعالمين إلا بعد معرفة رب والعالمين، ثم إن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى.

واعلم أن الذكر المشهور هو أن تقول: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، وقد دللنا على أن قولنا: "الحمد لله" يدخل فيه معنى قولنا: "سبحان الله؛" لأن قوله: "سبحان الله" يدل على كونه كاملاً تاماً في ذاته، وقوله: "الحمد لله" يدل على كونه مكملًا متمماً لغيره، والشيء لا يكون مكملًا متمماً لغيره إلا إذا كان قبل ذلك تاماً كاملاً في ذاته، فثبت أن قولنا: "الحمد لله" دخل فيه معنى قولنا: "سبحان الله"، ولما قال: "الحمد لله" فأثبت جميع أنواع الحمد ذكر ما يجري مجرى العلة لإثبات جميع أنواع الحمد لله، فوصفه بالصفات.

● ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

و {الرحمن الرحيم} إيجاز قصر؛ لأن "الرحمة" عبارة عن التخليص من أنواع الآفات، وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات، أما التخليص عن أقسام الآفات فلا يمكن معرفته إلا بعد معرفة أقسام الآفات، وهي كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى.

● ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

إن قوله : {مالك يوم الدين} يشير إلى مسائل المعاد والحشر والنشر، وهي قسمان : بعضها عقلية محضة، وبعضها سمعية:

أما العقلية المحضة فكقولنا : هذا العالم يمكن تخريبه وإعدامه، ثم يمكن إعادته مرة أخرى، وإن هذا الإنسان بعد موته تمكن إعادته، وهذا الباب لا يتم إلا بالبحث عن حقيقة جوهر النفس، وكيفية أحوالها وصفاتها، وكيفية بقائها بعد البدن، وكيفية سعادتها وشقاوتها، وبيان قدرة الله عز وجل على إعادتها.

وأما السمعية فهي على ثلاثة أقسام : أحدها : الأحوال التي توجد عند قيام القيامة، وتلك العلامات منها صغيرة، ومنها كبيرة وهي العلامات العشرة. وثانيها : الأحوال التي توجد عند قيام القيامة، وهي كيفية النفخ في الصور، وموت الخلائق، وتخريب السموات والكواكب، وموت الروحانيين والجسمانيين. وثالثها : الأحوال التي توجد بعد قيام القيامة وشرح أحوال أهل الموقف، وهي كثيرة يدخل فيها كيفية وقوف الخلق، وكيفية الأحوال التي يشاهدونها، وكيفية حضور الملائكة والأنبياء عليهم السلام، وكيفية الحساب، وكيفية وزن الأعمال، وذهاب فريق إلى الجنة وفريق إلى النار، وكيفية صفة أهل الجنة وصفة أهل النار، ومن هذا الباب شرح أحوال أهل الجنة وأهل النار بعد وصولهم إليها، وشرح الكلمات التي يذكرونها والأعمال التي يباشرونها، فهذه التفاصيل تعتبر هذه الآية إيجاز قصر.

● ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مَدْعَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

إن حذف "صراط" من قوله : "غير المغضوب عليهم" يعتبر إيجاز حذف .

وأما قوله : {صراط الذين أنعمت عليهم} بدل من "الصراط المستقيم" (بدل الكل من الكل)، وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل : "اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم" ، وهذه الآية إطناب؛ لأن فيها التصريح بعد الإيهام، فإن قوله : {الصراط المستقيم} مبهما، ثم فسره بقوله : {صراط الذين أنعمت عليهم}.

فإن قلت : ما فائدة البدل؟ وهلا قيل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره : صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة . ومعناه : أدم هدايتنا، فإن الإنسان قد يهدى إلى الطريق المستقيم ثم يقطع به . وفائدته أيضاً قصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل، بأن يبدل منه بعد ذلك "صراط الذين أنعمت عليهم" ليتمكن بهذا الأسلوب المعنى المقصود.

و {غير المغضوب عليهم} بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال ، وهذا أيضاً من قبيل الإطناب.

وفي قوله : {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} فوائد:

الفائدة الأولى : المشهور أن المغضوب عليهم هم اليهود، لقوله تعالى : {مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ} ، والضالين هم النصارى لقوله تعالى : {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} ، وقيل : هذا ضعيف، لأن منكري الصانع والمشركين أحبب دينا من اليهود والنصارى، فكان الاحتراز عن دينهم أولى، بل الأولى أن يحمل "المغضوب عليهم" على كل من أخطأ في الأعمال الظاهرة وهم الفساق، ويحمل "الضالين" على كل من أخطأ في الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل، ويحتمل أن يقال : المغضوب عليهم هم الكفار، والضالون هم المنافقون، وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات من أول البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا} فكذا هاهنا بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله : {أنعمت عليهم} ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله : {غير المغضوب عليهم} ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله : {ولا الضالين}.

والفائدة الثانية : لما حكم الله عليهم بكونهم ضالين امتنع كونهم مؤمنين، وإلا لزم انقلاب خبر الله الصدق كذبا، وذلك محال، والمفضي إلى المحال محال.

والفائدة الثالثة : قوله : { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } يدل على أن أحدا من الملائكة والأنبياء عليهم السلام ما أقدم على عمل يخالف قول الذين أنعم الله عليهم، ولا على اعتقاد الذين أنعم الله عليهم؛ لأنه لو صدر عنه ذلك لكان قد ضل عن الحق، لقوله تعالى : { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ } ولو كانوا ضالين لما جاز الاقتداء بهم، ولا الاهتداء بطريقهم، ولكانوا خارجين عن قوله : { أنعمت عليهم } ولما كان ذلك باطلا علمنا بهذه الآية عصمة الأنبياء والملائكة عليهم السلام.

والفائدة الرابعة : الغضب : تغير يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام، واعلم أن هذا على الله تعالى محال، لكن هاهنا قاعدة كلية، وهي أن جميع الأعراض النفسانية - أعني الرحمة، والفرح، والسرور، والغضب، والحياء، والغيرة، والمكر والخداع، والتكبر، والاستهزاء - لها أوائل، ولها غايات، ومثاله الغضب فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب، بل على غايته الذي هو إرادة الإضرار، وهذه قاعدة شريفة في هذا الباب.

والفائدة الخامسة : أن أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له، وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الإيمان به والإقرار بطاعته، وذلك يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الإقبال على الله تعالى، ومطلع الآفات ورأس المخافات هو الإعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته.

والفائدة السادسة : دلت هذه الآية على أن المكلفين ثلاث فرق : أهل الطاعة، وإليهم الإشارة بقوله : {أنعمت عليهم}، وأهل المعصية وإليهم الإشارة بقوله : {غير المغضوب عليهم}، وأهل الجهل في دين الله والكفر وإليهم الإشارة بقوله {ولا الضالين}.

فإن قيل : لم قدم ذكر العصاة على ذكر الكفرة؟ قلنا : لأن كل واحد يحتز عن الكفر أما قد لا يحتز عن الفسق فكان أهم فلهذا السبب قدم.

والفائدة السابعة : في الآية سؤال آخر، ما الحكمة في أنه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين أنعم الله عليهم، والمردودين فريقين : المغضوب عليهم، والضالين؟ والجواب أن الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، فهؤلاء هم المرادون بقوله : {أنعمت عليهم}، فإن اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم كما قال تعالى : {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ} وإن اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى : {فماذا بعد الحق إلا الضلال}.

وقد ذكر الله تعالى في هذه السورة من الأسماء الحسنى خمسة : الله، والرب، والرحمن، والرحيم، والمليك، وسره أن يقول : "خلقتك أولاً فأنا إله، ثم رببتك فأنا رب، ثم عصيتني فسترت فأنا رحمن، ثم تثبت فغفرت فأنا رحيم، ثم لا بد من اتصال الجزاء فأنا مليك يوم الدين. وكرر "الرحمن الرحيم" دون غيرها من الأسماء تنبيهاً على أن العناية بالرحمة أكثر .

4. الخاتمة

وقد تميزت هذه السورة بجملة من الدلائل الكبرى على إعجازها البلاغي. فإن هذه السورة قد اشتملت بوجه إجمالي على مقاصد القرآن من حمد وثناء في قوله تعالى : {الْحَمْدُ لِلَّهِ} إلى قوله : {يَوْمَ الدِّينِ}، وأوامر ونواهي في قوله : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} إلى قوله : {الْمُسْتَقِيمِ}، ووعد ووعيد في قوله : {صِرَاطَ

الَّذِينَ} إلى آخرها مع أن ذكر المغضوب عليهم، والضالين يشير أيضاً إلى نوع قصص القرآن، فسُميت أم القرآن.

فآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ خبرية لفظاً وإنشائية معنى، و فيه من المحسنات المعنوية، وهي: الحذف، والتقديم والتأخير، والتخصيص، وإيجاز الحذف والقصر. و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبرية لفظاً وإنشائية معنى، و فيه من المحسنات المعنوية، وهي: التقديم والتأخير، والتخصيص، وإيجاز قصر. وكذلك في ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الذكر، والتقديم والتأخير، وإيجاز القصر. و ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ فيه من المحسنات المعنوية، وهي التقديم والتأخير، وإيجاز قصر. و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خبرية لفظاً وإنشائية معنى، و فيه من المحسنات المعنوية وهي الذكر، والتقديم والتأخير، والوصل، والتخصيص، والاتفات من الغيبة إلى الخطاب. و ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، و فيه التقديم والتأخير، والفصل. والآية الأخيرة ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ غير الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فيه الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، وإيجاز حذف وإطناب.

5. المراجع

- أبو زيدة، محمد عبد الهادي، إبراهيم بن سيار النظام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ. الطبعة الأولى.
- الباجوري، إبراهيم بن محمد، حاشية الباجوري (تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م. الطبعة الأولى.
- البجيرمي، سليمان بن محمد بن عمر، تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، الطبعة الأولى .
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ، الطبعة الأولى .
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، شعب الإيمان، مكتبة الرشد، رياض، 2003م، الطبعة الأولى .
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، مختصر المطول (هذا الكتاب طبع مع حاشية الدسوقي)، بدون اسم الطبعة.
- التونسي، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، 1984هـ .

- الرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بدون سنة الطبعة، الطبعة الأولى.
- الرجاني، عليّ بن محمد بن عليّ الزين الشريف، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، الطبعة الأولى.
- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام عليّ الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2003م، الطبعة الخامسة .
- الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد، شرح الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون بدون اسم الطبعة .
- الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ، الطبعة العاشرة .